الاستدلال بآية سورة الاعراف–رقمها 35– على استمرار النبوة في ميزان العقل و النقل

سميع الحق بن المفتي عبد الديان*

الحمد لله الّذي أرسل رسوله خاتم النبيين و الرسل محمدا صلى الله عليه وسلّم، و أنهي سلسلة النبوة عليه الصلاة و السلام على خير خلقه محمد الّذي قال: "**أنا خاتم النبيين و لا نبي بعدي**"[1]و على أله و أصحابه الذين آمنوا بختم النبوة و بكون محمد صلى الله عليه وسلّم خاتم النبيين و الرسل ،و الّذين دافعوا عن هذه العقيدة حق الدفاع.أما بعد!فإني أتعرض أوّلا للتعريف الموجز بفرقة القاديانية و ثانيا للآية في سورة الأعراف التي تستدلّ هذه الفرقة بها على الستمرار سلسلة النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم ثم للرد عليها في ضوء الأدلة النقلية و العقلية ثم اذكر أقوال العلماء في ختم النبوة.

التعريف بالقاديانية:

القاديانية فرقة ضالة بدات و ظهرت تحت رئاسة غلام أحمد القادياني في قرية"قاديان" من احدى قرى البنجاب بمحافظة كورداسبور المولود في سنة 1839م المتوفي سنة 1908م بربوة باكستان– في أسرة عميلة للاستعمار الإنكليزي.[2]و كان يدعي النبوة حيث صرّح قائلا :"الذي لا يؤمن بي لا يؤمن بالله و رسوله" و كان ابنه الثاني بشير أحمد يقول:" إن من لا يؤمن بغلام فهو كافر و خارج عن الإسلام و جهنمي[3] و هم يكفرون كل من ينكر نبوة غلام أحمد".[4]

و قال غلام أحمد القادياني في 25 مايو سنة 1900 م :" إن الله تعالى قال له : " الذي يحبني و يطيعني وجب عليه ان يتبعك و يؤمن بك،و إلاّ لا يكون محبا لي بل هو عدو لي، و إن أراد منكروك أن لا يقبلوا هذا بل كذبوك و آذوك، فنجزيهم جزاءً سيئاً و أعددنا لهؤلاء الكفار جهنم سجناً لهم، فقد بيّن الله ههنا بأن منكر الغلام كافر و جزاءه جهنم".[5]

و في كتاب حقيقة الوحي له ص/ 179 يجعل الكفر قسمين:

أحدهما: جحد الاسلام و نبوة محمد صلى الله عليه وسلّم

و الثاني:جحد المسيح الموعود– يعني نفسه–[6]

و إن القاديانية تعتقد بانهم مسلمون و يكفرون المسلمين و يقولون أنهم أهل جهنم و أولاد الكلاب و الخنازير.[7]

و في مارس 1884م ادعى أنه يلهم من الله، ثم ادعى بعد ذلك سبعة عشر عاماً 1901م بانه نبي و رسول.[8]

الإستدلال بالاية:

بعد هذا التعريف الموجز بها أتى إلى صلب الموضوع،و هو استدلال هذه الفرقة بآية سورة الأعراف و هي قوله تعالى: **يا بني آدم إمّا يأتينّكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى و أصلح فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون**"[9]على مجيء الرسل بعد النبي صلى الله عليه وسلّم لانّ الله تعالى أخبر أولاد آدم عن إتيان الرسل.[10]

تستدل هذه الفرقة بلفظ (ياتين) المؤكد بنون التوكيد مع لفظ (إما)المفيد للتأكيد أيضا على ان إرسال الرسل معلق بالزمن المستقبل،و الآيات السابقة كلها تدل على الزمن المستقبل ،فجاء في الآية:" **يا بني آدم خذوا زينتكم عندكل مسجد و**

*رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن،بكلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان-

كلوا واشربوا و لا تسرفوا إنّ الله لا يحب المسرفين".[11]و تقول القاديانية في تفسير الآية السابقة و هي قوله: " يابني آدم...الخ" هذه الآية التي نزلت على محمد صلى الله عليه وسلّم ،خوطب به جميع الإنس، و لم يكتب فيها أنا قلنا ها في الزمن الماضي و في الأماكن كلّها،بل خوطب بها الرسول و النّاس الّذين ياتون بعده:.[12]

جاءفي " الإتقان" (هذا خطاب لاهل ذلك الزمان و لكل من بعدهم) و كذلك لفظ(رسل) مخصوص بالبعض، لانّ الآية " **ومن يطع الله و الرسول**"[13] تدل على اشتراط أن تكون الامة للنبي الآتي في المستقبل فلفظ (رسل) في هذه الآية المذكورة سابقاً يدلّ على اختصاص الأمة بالنبي فقط، اي لا بد أن تكون هناك أمة للنبي الآتي في المستقبل.[14]

نرد على هذا الزعم الباطل بردين : إلزامي و تحقيقي. ثم اذكر بعذ الآيات و الأحاديث و أقوال العلماء للدلالة على ختم النبوة إن شاء الله.

الرد الإلزامي:

أ. يقول ميرزا غلام محمد: إنّ لفظ "الرسول" لا يراد به في كل موضع الرسول من الله تعالى،بل يطلق على المجدد و المحدث و المبلغ، يستدل بقوله تعالى: فلا يظهر على غيبه أحدا إلاّ من ارتضى من رسول".[15]و في هذه الآية لفظ " الرسول" عام،يدخل فيه الرسول و النبي و المحدث، إذا جاء الاحتمال بطل الاستدلال.

ب. إن النبي و المحدث في كونهما مرسلين من الله تعالى متساويان كما سمى الله الأنبياء المرسلين كذلك سمى المحدثين مرسلين ولهذا الغرض جاء في القرآن:"**و قفينا من بعده بالرسل**"[16] و لم يقل و قفينا من بعده الأنبياء، فإذا رسولنا خاتم الأنبياء لا ياتي بعده الرسول، ولكن ياتي بعده المحدث يقوم مقام النبي.

ج. كذلك يطلق الرسول على غير الرسول ايضا مثلا أطلق الرسول على معاذ ين جبل، و الحاصل أن المراد بالرسل في الآية صحابة الرسول،فعند مرزا جاءفي الآية لفظ " رسل" و ليس " أنبياء" و الرسل يطلق على جميع العلماء و الأمة و المبلغين و الكلام في النبوة و الرسالة من الله و ليس في مطلق الرسالة،[17] و الرسل يدل على مطلق الرسالة.فاذا جاء هذا الاحتمال في لفظ "رسل" بطل الاستدلال بهذه الآية على استمرار سلسلة الرسالة.

الرد التحقيقي:

أ. إذا كان في " **إمّا يأتينكم رسل منكم**" وعد بمجيء الرسل دائماً فلا محالة يكون في قوله تعالى: "إمّا يأتينّكم متّي هدى" [18]وعد بمجيئ الهداية و الكتاب دائماً، إذا كان ياتي بعدك الرسول فلماذا لا ياتي بعد القران الكتاب،و لم يقولوا به.[19]

ب. أن لفظ "إما" حرف شرط فلا يدل على تحقق الشيء و تحققه ليس بلازم، مما في قوله تعالى: " **إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين**"[20]

ج. أن لفظ "يأتين" فعل مضارع ،و المضارع استمراره ليس بضروري كما في قوله تعالى: "**فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً**"[21] لأنه ليس معنى الآية أن مريم تعيش إلى أبد الآبدين حتى ترى البشر دوماً و بالاستمرار.[22]

د. أن القادياني يقول بنفسه إن النبوة بمعنى الرسالة قد انقطعت.[23]

هـ. أن القرآن يخاطب المؤمنين يعني أمة الإجابة بلفظ (يأيها الّذين آمنوا) و يخاطب أمة الدعوة بيأيّها النّاس و لم يخاطب أمة محمد صلى الله عليه وسلّم ييا بني آدم،[24] و لكن هنا خاطب ب " يا بني آدم" و خاطب أولاد آدم الأولين و هذه حكاية الحال الماضي.

و. أنّ القادياني يحرف في هذا المكان مثل تحريف اليهود، و لكن القارئ لو بدأ القراءة من الركوع الثاني يعني من الآية رقمها 11 لسورة الأعراف يجد قصة آدم مكتوبة فيها يعني خلق الله آدم ثم أضله الشيطان و أخرجه من الجنّة، ثمّ قال لهم يعني: له و لأولاده: إن دخول الجنة موقوف على حياة الدنيا فاذهبوا إليها، ثم نبه أولاده على مكر الشيطان انه أذل أباهم و لا بد لهم أن يحذروه و يقوا أنفسهم منه، في أثناء هذه القصة سلى النبي صلى لله عليه وسلّم بمعاني هذه القصة، و أنذر المشركين على أعماله الشيطانية و أخجلهم، ثم قال بعد إعادة القصة نحن نصحنا أولاد آدم و قلنا لهم إذا جاءكم رسل مني فاقبلوا كلامهم، و من امتثل نجا و من لم يتبع هلك و يكون من أصحاب النّار.[25]

و الحاصل أنّ هذا الخطاب لأدم و أولاده عند الخلقة الأولى و صدق هذا الوعد بمجيئ الأنبياء و الرسل إلى أن جاء خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلّم كما ذكر الإمام الطبري في تفسير الآية: إنّ الله تعالى جعل آدم و ذريّته في كفه[26] فقال :" يابني آدم إمّا يأتينّكم" أنّ الله أخذ آدم و نسله في يده و خاطبهم بهذا، و كذلك سياق الآية يدل على هذا، لأنّها ذكرت سياق خلقة آدم و دخوله الجنّة ثم الخروج منها.[27]

ز. أنّ الله تعالى بين هذه القصة في الجزء الأول في الآية رقم 30: من الركوع الرابع إلى آخره، يقول الله حينما أنزلنا آدم على الأرض نصحناه و قلنا له "**فإما يأتينكم من هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم و لا هم يحزنون**".[28]

الحاصل أنّ هذه الآية أيضا ليس فيها دلالة على استمرار النبوة و الهداية ، بل فيها أيضا قصة آدم، فعرف أنّ الله تعالى وعد ألاّ يرسل رسولاً بعد النبي صلى الله عليه وسلّم.[29]

يرد الاعتراض:

إن المخاطب في آية سورة الاعراف " **يبني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد**"[30] الرسول و الناس بعده و ليس بني آدم كله ، لان لفظ "**مسجد**" جاء في هذه الآية و هو مختص بمعبد أمة محمد صلى الله عليه وسلّم.[31]

الإجابة عليه:

إن لفظ " مسجد" لا يختص بأمة محمد صلى الله عليه وسلّم بل هذا اللفظ استخدم للامم السابقة أيضاً كما قال الله تعالى:"**قال الّذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً**" [32]حينما وقع الجدال في ماذا يبنى على مكان أصحاب الكهف بين الناس، فاقترح الفريق الاكثر أن يبني عليه مسجداً لذكراهم ، فثبت أن لفظ المسجد لم يختص بأمة محمد صلى الله عليه وسلّم بل كان مروجا في الامم السابقة.[33]

لو سلمنا بان لفظ "المضارع" يعني "يأتينكم" يدل على الاستمرار ، فيعرف منه باشارة النص استمرار سلسلة النبوة لكن هناك نصوص و أدلة قطعية من القرآن و الحديث و الاجماع تدل بعبارة النص على انقطاع سلسلة النبوة. فإذا وقع التعارض بين اشارة النص و عبارة النص ترجح عبارة النص على إشارة النص بالإتفاق.

بعد هذا الرد على هذا الاستدلال بأية سورة الأعراف رقممها:35 على استمرار النبوة أذكر بعض الآيات و الأحاديث النبوية الشريفة و أقوال العلماء و إجماع الأمة على ختم النبوة فيما يلي:

الآيات المباركة الدالة على ختم النبوة:

وردت الآية الصريحة في القرآن الكريم تدل على ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم و هي قوله تعالى:

"**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النبيين و كان الله بكل شيء عليما**".[34]

فهذه الآية نص في المسألة و ظاهرة في معناه و لا تحتاج إلى أي تأويل و توضيح، ويفهم منها من له أدنى إلمام باللغة العربية أنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم.[35]

عقيدة ختم النبوة كما وردت في الأحاديث:

هناك أحاديث كثيرة دالة على عقيدة ختم النبوة منها:

أ. قال النبي صلى الله عليه وسلم: كانت بنو إسرائيل تسوسهم الانبياء كلما هلك نبي خلفه نبي. و إنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء".[36]

ب. قال النبي صلى الله عليه و سلم : " إن مثلي و مثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فاحسنه و أجمله إلاّ موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به و يعجبون له و يقولون هلا وضعت هذه البنة ، انا اللبنة و أنا خاتم النبيين".[37]

ج. قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم:" إنّ الرسالة و النبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي و لا نبي ".[38]

د. قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أنا محمد ، و انا أحمد ، و أنا الماحي الذي يمحى بي الكفر و انا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي و أنا العاقب ،و العاقب الذي ليس بعده نبي.[39]

إجماع الصحابة على ختم النبوة:

و إن إجماع الصحابة له الأهمية الكبرى بالدرجة الثالثة بعد القرآن و السنة. و ممّا اتفقت عليه الروايات التاريخية الموثوق بها أن الصحابة حاربوا بإجماعهم كل من قام بدعوى النبوة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم و الذين آمنوا بنبوته و عاونو على إظهار أمره. و من أمثلته:

دعوى مسيلمة الكذاب بالنبوة و إجماع الصحابة رضوان الله عليهم على تكفيره و اعتباره خارجاً من دائرة الاسلام و على ذلك قاتلوه.[40]

أقوال علماء الأمة في ختم النبوة:

أ. تنبأرجل في زمن أبي حنيفة و قال امهلوني حتّى اجيء بعلامات فقال أبو حنيفة : من طلب منه علامة فقد كفر لقوله عليه السلام : لا نبي بعدي.[41]

ب. يقول الامام الغزالي رحمه الله:

إن الأمة فهمت بالاجماع من هذا اللفظ –أي لا نبي بعدي– أنه أفهم عدم نبي ابداً و عدم رسول بعده أبداً و أنه ليس فيه تأويل و لا تخصيص و من أوله بتخصيص فكلامه من أنواع الهذيان لا يمنع الحكم بتكفير لانه مكذب هذا النص اجمعت الأمة على أنه غير مؤول و لا مخصوص.[42]

ج.يقول الامام ابن كثير:

"إن كل من ادعى هذا المقام–أي مقام النبوة– بعده فهو كذّاب افاك دجال ضالّ مضلّ.[43]

د. يقول العلامة الآلوسي:

و كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين مما نطق به الكتاب و صدعت به السنة و أجمعت عليه الأمة ليكفر مدعي خلافه و يقتل إن أصر.[44]

نتائج البحث

أ. أن الاستدلال بأية سورة الاعراف على استمرار سلسلة النبوة باطل لغةً و عقلاً ونقلاً.

ب. أن الاستدلال مبني على تحريف الآية لا يقبله سياق الآية و سباقها.

ج. أن الاستدلال مبني على سوء النيّة و أنه خلاف النصوص القطعية و الاجماع الّتي تدل على انقطاع سلسلة النبوة.و الله أعلم.

د. أنه خلاف أقوال و آراء المجتهدين الّذين أجمعوا على ختم النبوة و بطلان مجيئ نبي و رسول بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلّم.

هوامش

[1] بخارى، محمد بن اسماعيل، صحيح ،كتاب المناقب،باب خاتم النبيين : رقم الحديث:3535

[2] حقيقة البهائية و القاديانية للدكتور محمد حسن الأعظمي. منشورات مؤسسة الأعلى للمطبوعات: بيروت، لبنان، 1393هـ.ص 89،90

سيد أبو الحسن الندوي ، قاديانيت مطالعة و جائزة، مجلس نشريات اسلام . اى كى 3 ناظم آباد نمبر1 كراتشي سنة 1981 م. ص: 23

[3] سيد أبو الاعلى المودودي، قادياني مسئلة اور اس كي مذهبي ، سياسي اور معاشرتي بهاو.اسلامك ببليكيشنز لاهور،باكستان.1995م-1997م.ص:432

[4] قادياني مسئلة: 432-433

البهائية و القاديانية: 91-118-119

مولانا منظور احمد جنيوتي، دفاع ختم نبوت، رتّبه مولانا محبوب احمد مدرس جامعة مفتاح العلم سرجودها.الميزان ناشران تاجران كتب،لاهور باكستان.ص 137

الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب المعاصرة . الناشر: صبيح الرحمن يوسغي.مكتبة النور نوشهرة.ط:2.1409هـ،1989م.ص 289

[5] الاستاذ احسان الهي ظهير، انظر القادسانية دراسة و تحليل. الناشر إدارة ترجمان السنة لاهور، باكستان. ط:3.1395هـ،،1975م.ص:22،34، 35

انظر البهائية و القاديانية:ص:90،91

قادياني مسئلة: ص 386-387

مولانا محمد يوسف لدهيانوي، آب كي مسائل اور ان كا حل.مكتبة لدهيانوي كراتشي.199/1

قاديانيت مكالعة و جائزة: ص 89-90 دفاع ختم نبوت: 133-137

[6] الشيخ محمد زاهد الكوثري، مقالات الكوثري. الناشر ايچ_ايم كمبني كراتشي باكستان.ص 270

قاديانيت مطالعة و جائزة.ص:90

قادياني مسئلة. ص: 385-388

[7] دفاع ختم نبوت ،96

[8] انظر البهائية و القاديانية .ص 91

[9] سورة الاعراف: 35

[10] انظر القاديانية دراسة و تحليل .305-308

مولانا الله وسايا، آئينه قاديانيت. عالمي مجلس تحفظ ختم نبوت حضوري باغ ملتان.مكتبة الحرمين اردو بازار لاهور.1431هـ،.ص:81،82

[11] سورة الاعراف: 31

[12] مولانا محمد عبد الله امرتسري مرحوم، انظر محمديه باكت بك بجواب أحمديه باكت بك.المكتبة السلفية لاهور. ط:4.1384ھ،،1964م.ص 445-446

[13] سورة النساء:70

[14] قاضي محمد نضير فاضل،(مرتبه) انظر أحمدية تعليمي باكت بك، طابع سيد عبد الحي ايم- اى مطبع صياء الاسلام بريس ربوه،ناشر نظارت اشاعت اتريجر و تصنيف ضدر انجمن احمد باكستان ربوة دسيمبر.1977م. حصة اول:دوم:ص 170،171

[15] سورة الجن:26،27

[16] سورة البقرة: 87

[17] انظر محمدية باكت بلا بجواب أحمد ية باكت بك.ص: 446،448

[18] سورة البقرة:38

[19] آئينه قاديانيت: ص:83

[20] سورة الزخرف:81

[21] سورة مريم: 26

[22] آئينه قاديانيت:ص:83

[23] انظر القاديانية:305-306-انظر محمدية باكت بك بجواب أحمدية باكت بك.ص:448-449

[24] انظر المرجع السابق.ص:448-449

آئينه قاديانيت.ص:82

[25] الشيخ مولانا بشير أحمد عثماني، انظر القرآن الكريم و ترجمة معانيه و تفسيره إلى اللغة الاردية المعروف تالتفسير العثماني.ص:206

انظر محمدية باكت بك .ص:448-449

[26] الإمام محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،دار الفكر :بيروت ، لبنان.الطبعة الأولى 1421ھ،2001 م،5/195

[27] انظر القاديانية.ص:305-306

انظر التفسير العثماني. ص: 206

[28] سورة البقرة : 38

[29] انظر محمدية باكت بك.ص: 448-449

[30] سورة الاعراف:31

[31] انظر محمدية باكت بك.ص:449

[32] سورة الكهف:21

[33] انظر محمدية باكت بك.ص 449-450

[34] سورة الأحزاب: 41

[35] القاديانية :269

36 بخاري، صحيح ،كتاب المناقب. باب ما ذكر عن بني اسرائيل

37 بخاري، صحيح ،كتاب المناقب، باب خاتم النبيين

38 رواه الترمذي في سننه:كتاب الرؤيا: باب ذهاب النبوة و قد أخرجه الامام أحمد في مسنده في مرويات انس بن مالك

39 مسلم، الجامع، كتاب الفضائل، باب اسماء النبي.و الترمذي:كتاب الآداب باب أسماء النبي

40 ماهي القاديانية: دراسة شاملة و عرض علمي للقاديانية و مدى تأثيرها في المحتمع الاسلامي:أبو الاعلى المودودي.دار القلم كويت.ط:2. 1402هـ،1982م.ص 189-190

41 انظر قادياني مسئلة .ص: 354-360

42 انظر قادياني مسئلة .ص: 354-360

43 انظر قادياني مسئلة .ص: 354-360

44 انظر قادياني مسئلة .ص: 354-360